[273] قال القاضي الآية مخصوصة بالمجرمين فإن ما أصاب غيرهم فلأسباب أخر منها تعويضه للأجر العظيم بالصبر عليه، إنتهى. ولك أن تريد بالنفس واليد الجنس وتقول قد يصيب المصيبة بريئا بفعل غيره كما دل عليه بعض الآيات والروايات وأن تريد بهما نفس المصاب ويده وتجعل المكسوب الجالب للمصيبة شاملا لخلاف الأولى أيضا وتقول غير المجرم لا يخلو منه كما اشتهر " حسنات الأبرار سيئات المقربين "، ومن هاهنا أصاب آدم (عليه السلام) ما أصابه. وفيه دلالة واضحة على أن العبد ليس مجبورا على المعصية وأن أفعاله مستندة إليه لا إليه سبحانه كما زعمت الأشاعرة (وذاك) المذكور وهو كون (ما أصابك من حسنة) سببا للحكم عليه بأنه من ا وكون " ما أصابك من سيئة " سببا للحكم عليه بأنه من نفسك لأجل (أني أولى بحسناتك منك) لصدورها عنك بقوتي التي أودعتها فيك اختيارا وامتحانا وتوفيقي ولطفي بك تفضلا وإحسانا حتى لو صرفت وجه التوفيق واللطف عنك، ووكلتك إلى نفسك كنت من الشر أقرب ومن الخير أبعد وأنت أولى بسيئاتك مني) لصدورها عنك على وفق عنايتك وإرادتك ومقتضى مشيتك وقدرتك. وفي لفظة أولى وإضافة الحسنات والسيئات إلى المخاطب إشعار بأن الحسنات والسيئات كلها مكسوبة للعبد إلا أن فعل الحسنات لما كان بالتوفيق واللطف الخارجين عن الأمور المعتبرة في أصل التكليف كان إسناده إليه تعالى أولى بهذا الاعتبار كإسناد الرمي إليه تعالى في قوله * (وما رميت إذ رميت ولكن ا رمى) * وفعل السيئات لما كان عن مجرد القوة التي هي مناط التكليف مع شوق النفس إليه من غير إعانة من ا تعالى عليه كان إسناده إلى الفاعل الحقيقي أولى من إسناده إلى الفاعل بواسطة (وذلك) إشارة إلى الأمر المفهوم من سياق الكلام وهو الإقدار على الطاعة والمعصية وإحداث اللطف والتوفيق لبعض دائما ولبعض في وقت دون وقت. (إنني لا اسأل عما أفعل) (1) لكمال الجلالة والعظمة والجبروت مع اشتمال ذلك الفعل على الحكم _____ 1 - قوله: " إنني لا أسأل عما أفعل " كان مبدأ أكثر الشبهات وسوسة الواهمة في مصالح كثير من الأمور وحكمها لعدم تبينها وغموضها، وكان جواب الجميع أنه تعالى عالم بجميع الأشياء حكيم * (لا يسأل عما يفعل وهم يسألون) * عقب مسألة التكليف وصدور الحسنات والسيئات من الناس بهذا الكلام لدفع تلك الشبهات منها أنه تعالى لم خلق الكافر إذا علم أنه يكفر ولا ينتفع بالوجود ؟ وكان الأصلح والأرجح أن لا يخلقه أصلا، لأن غاية الخلق إيصال النفع. والشبهة الثانية أنه لا فائدة في التكليف مطلقا إذ كان خلق الإنسان وجميع ذوي العقول في الجنة والتذاذهم بالنعيم من غير تكليف ممكنا له تعالى ونقل عن إبليس سبع شبهات في معناها

الأولى والثانية ما ذكر، والثالثة أنه لم يكن فائدة في خصوص السجود لآدم إذا علم ا تعالى أني أعصي ولا أطيعه مع أني كنت أعبده وأطيعه في غيره من التكاليف ولم يكن هذا التكليف إلا إضرارا بي، والرابعة أني تركت السجود لآدم ولم يكن قبيحا إذ لا ينبغي ولا يحسن السجود إلا تعالى فلم أمرني بعمل غير الحسن ولعنني على = (*)